

# الرد المفيد على من أنكر أقسام التوحيد الرسائل الشامية (3)

جابر بن عبد القيوم  
الساعدي  
أبو قتيبة الشامي

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه وجنده، وعلى كل من سار على هديه واتبع سنته.

**أما بعد:**

لقد كان الناس قبل بعثة المصطفى صلى الله عليه وسلم في جهل شديد مطبق، وفي فساد قد عم جميع البلاد، وفي وقت قد طمست فيه السبل، واندرست فيه الشرائع، واشتدت فيه الفتن، وظهر الجهل والطغيان في سائر العباد.

"كنا في جاهلية وشر"<sup>1</sup>. هكذا وصف حذيفة ابن اليمان خالهم قبل بعثة المصطفى صلى الله عليه وسلم.

يقول أبو رجاء العطاردي رضي الله عنه: (كنا نعبد الحجر فإذا وجدنا حجراً هو خير منه ألقيناه وأخذنا الآخر، فإذا لم نجد حجراً جمعنا جثوة من تراب، ثم جئنا بالشاة فحلبناه عليه ثم طفنا به)<sup>2</sup>.

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: (وأما الجاهلية فما كان قبل النبوة فسموا بذلك لكثرة جهالتهم)<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> رواه الشيخان.

<sup>2</sup> رواه البخاري.

<sup>3</sup> شرح مسلم للنووي.

فالجاهل لا يدرك ولا يعي الأمور على حقيقتها فلا بد من تفنيد الأمور، وتقسيمها له ليفهم ويعي المراد، فتبين له المحجة، وتقام عليه الحجة بما يؤمن به ويفهمه، على ما لا يؤمن به ويجهله.

هؤلاء القوم مع كثرة جهالتهم كانوا يقرّون أو يدعون أنهم يؤمنون بربوبية الله سبحانه وتعالى: **(وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَاتَى يُوقُونَ)**<sup>4</sup>، ولكنهم اشركوا معه غيره في عبادته، **(مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى)**<sup>5</sup>، **(وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْصُرُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ فَلْأَتْنَبِّئْهُمْ اللَّهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ)**<sup>6</sup>، **(لِذَا سَمَّوْا مُشْرِكِينَ، وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ)**.

عندما أخذ الله منهم إقرارهم وأقرّوا بأن الله خالقهم. احتج عليهم على أنه هو وحده المستحق بأن يعبد وحده لا شريك له.

قال الإمام الشنقيطي رحمه الله تعالى: (ويكثر في القرآن العظيم الاستدلال على الكفار باعترافهم بربوبيته جل وعلا على وجوب توحيده في عبادته ولذلك يخاطبهم في توحيد الربوبية باستفهام التقرير فإذا أقرّوا بربوبيته احتج عليهم على أنه هو المستحق لأن يعبد وحده، ووبخهم منكرهم عليهم بشركهم به غيره مع اعترافهم بأنه هو الرب وحده، لأن من اعترف بأنه هو الرب وحده لزمه الإقرار بأنه هو المستحق لأن يعبد وحده).

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: **(قُلْ مَنِ تَزِرُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ**

<sup>4</sup> الزخرف: 87.

<sup>5</sup> الزمر: 3.

<sup>6</sup> يونس: 18.

<sup>7</sup> يونس: 106.

وَالْإِنْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ  
الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ  
اللَّهُ<sup>8</sup>، فلما أقروا بربوبيته وبخهم منكراً عليهم  
شركهم به غيره بقوله: (قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ).

ومنها قوله تعالى: (قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ  
السَّبْعِ وَرَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ \* سَيَقُولُونَ  
لِلَّهِ<sup>9</sup>، فلما اعترفوا وبخهم منكراً عليهم شركهم  
بقوله: (قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ).

ثم قال تعالى: (قُلْ مَنْ يَدِينُ مَلَائِكَةُ كُلِّ  
شَيْءٍ وَهُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَا يُخَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ  
تَعْلَمُونَ \* سَيَقُولُونَ لِلَّهِ<sup>10</sup>، فلما أقروا وبخهم  
منكراً عليهم شركهم بقوله: (قُلْ فَأَنَّى  
تُشْحَرُونَ).

ومنها قوله تعالى: (قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ  
وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ<sup>11</sup>، فلما صح الاعتراف وبخهم  
منكراً عليهم شركهم، بقوله: (قُلْ أَفَاتَخَذْتُمْ مِنْ  
دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا  
ضَرًّا<sup>12</sup>).

ومنها قوله تعالى: (وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ  
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَشَخَرَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ  
لَيَقُولَنَّ لِلَّهِ<sup>13</sup>، فلما صح اعترافهم وبخهم منكراً  
عليهم شركه بقوله: (فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ).

ولأجل ذلك ذكرنا في غير موضع أن كل الأسئلة  
المتعلقة بتوحيد الربوبية استفهامات تقرير يراد منها  
أنهم إذا أقروا رتب عليهم التوبيخ والإنكار على ذلك

<sup>8</sup> يونس: 31.

<sup>9</sup> المؤمنون: 85 و 86.

<sup>10</sup> المؤمنون: 88 و 89.

<sup>11</sup> الرعد: 15.

<sup>12</sup> الرعد: 15.

<sup>13</sup> العنكبوت: 61.

الإقرار، لأن المقر بالربوبية يلزمه الإقرار بالألوهية (ضرورة).<sup>14</sup>

وقد ورد في السنة على أن رسول الله صلى الله وسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل عبيد بن حصين رضي الله عنه قبل أن يسلم: (كم إلهاً تعبد اليوم؟)، قال: (سبعة، ستة في الأرض وواحد في السماء)، قال: (فإذا أصابك الضر فمن تدعو؟)، قال: (الذي في السماء)<sup>15</sup>.

فلأنهم كانوا يقولون بأن الله خالقهم ورازقهم كان ذلك حجة عليهم، لأن الذي يقر أن الله خالقه ورازقه، لا بد أن يعبده وحده لا شريك له، ومن يعبد الله وحده لا شريك له لا بد أن يعتقد أن الله هو الخالق الرازق..

فتوحيد الأولهية متضمن لتوحيد الربوبية، بمعنى أن توحيد الربوبية داخل ضمن توحيد الإلهية، ولكن قسم التوحيد إلى ربوبية وإلهية لإقامة الحجة وتبيان المحجة للجهلة.

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: (أما توحيد الربوبية فقد أقر به المشركون، وكانوا يعبدون مع الله غيره، ويحبونهم كما يحبونه فكان ذلك التوحيد الذي هو توحيد الربوبية حجة عليهم، فإذا كان هو رب كل شيء ومليكه ولا خالق ولا رازق إلا هو فلماذا يعبدون معه غيره، وليس له عليهم خلق، ولا رزق، ولا بيده منع ولا عطاء، بل هو عبد مثلهم لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً ولا مموتاً ولا حياةً ولا نشوراً)<sup>16</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: (والإلهية التي دعت الرسل أممهم إلى توحيد الرب بها: هي العبادة والتأله ومن لوازمها توحيد الربوبية الذي أقر به

<sup>14</sup> إنتهى كلام الشنقيطي في أضواء البيان.

<sup>15</sup> رواه البيهقي في الصفات.

<sup>16</sup> مجموع الفتاوى 4/380.

المشركون فاحتج عليهم به، فإنه يلزم الإقرار به  
الإقرار بتوحيد الإلهية) <sup>17</sup> أهـ

قال ابن كثير رحمه الله تعالى في قوله تبارك  
وتعالى: **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي  
خَلَقَكُمْ)** <sup>18</sup> إلى قوله تعالى: **(فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ  
أندَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)** <sup>19</sup> ... ومضمونه أنه  
الخالق الرازق مالك الدار وساكنيها ورازقهم فبهذا  
يستحق أن يعبد وحده ولا شريك به غيره). <sup>20</sup>

قال محمد بن عبد الوهاب التميمي رحمه الله  
تعالى: (وقد استدل سبحانه بأقرارهم بتوحيد  
الربوبية على بطلان مذهبهم لأنه إذا كان هو المدبر  
وحده وجميع ما سواه لا يملكون مثقال ذرة فكيف  
يدعونه ويدعون معه غيره مع إقرارهم بهذا) <sup>21</sup>.

قال شبيخي ومعلمي العلامة أبو قتادة  
الفلسطيني أطال الله في عمره وثبت الله خطاه:  
(وقد قُسم التوحيد تقسيماً ثلاثياً، وليس له من سبب  
سوى الرد على أهل البدع، وهذا التقسيم هو: توحيد  
العبادة - ويسمونها توحيد الإلهية أو الألوهية -  
وتوحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات).

وتوحيد العبادة هو عينه توحيد القصد والطلب، أو  
التوحيد الإرادي الطلبي، وتوحيد الربوبية هو عينه  
توحيد الإثبات والمعرفة أو التوحيد العلمي الخبري،  
وتوحيد الأسماء والصفات داخل في توحيد الربوبية،  
فإن أسماء الله وصفاته هي من ربوبيته، وهي التي  
بها استحق إلهيته على خلقه) <sup>22</sup>.

والربوبية والألوهية تارة يذكران معاً فيفترقان  
في المعنى كما في قوله تعالى: **(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ**

<sup>17</sup> إغاثة اللهفان 2/135.

<sup>18</sup> البقرة: 21.

<sup>19</sup> البقرة: 22.

<sup>20</sup> تفسير القرآن العظيم الآية.

<sup>21</sup> الرسائل الشخصية 422.

<sup>22</sup> توحيد الحاكمية 11.

**النَّاسِ \* مَلِكُ النَّاسِ \* إِلَهَ النَّاسِ)**،<sup>23</sup> وتارة يذكر أحدهما مفرداً عن الآخر فيجتمعان في المعنى كما في قوله تعالى: (الذين أخرجوا من ديارهم بغير الحق إلا أن يقولوا ربنا الله). وقوله تعالى: (قُلْ أَغْنَى اللَّهُ أَتَغْنِي رَبًّا)،<sup>24</sup> وقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفَامُوا).<sup>25</sup> فالربوبية في هذه الآيات هي الإلهية.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في تفسير سورة الناس: ("رب الناس": هذا معنى ربوبيته لهم وذلك يتضمن قدرته التامة ورحمته الواسعة، وعلمه بتفاصيل أحوالهم وبإجابة دعواتهم وكشف كرباتهم).

"ملك الناس": وأضافهم في الكلمة الثانية إلى ملكه فهو ملكهم والحق الذي إليه مفزعهم في الشدائد والنوائب فلا صلاح ولا قيام إلا به.

"إله الناس": وأضافهم في الكلمة الثالثة إلى إلهيته فهو إلههم الحق ومعبودهم الذي لا إله سواه، ولا معبود لهم غيره، فكما أنه وحده ربهم ومليكهم لم يشاركه في ربوبيته ولا في ملكه أحد، فكذلك هو إلههم ومعبودهم فلا ينبغي أن يجعلوا معه شريكاً في إلهيته كما لا شريك معه في ربوبيته وملكه).<sup>26</sup>

### أما بالنسبة لتوحيد الأسماء والصفات:

وهو الإيمان بما وصف الله نفسه في كتابه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من الأسماء الحسنى والصفات العلا من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكيف ولا تمثيل وإمرارها كما جاءت.

وبما أن الجهل آفة أهل الضلال والفتن ومن خللاه يدخل الشيطان ليلبس على الناس فطرتهم

<sup>23</sup> الناس: 1-3.

<sup>24</sup> الأنعام: 164.

<sup>25</sup> فصلت: 30.

<sup>26</sup> تفسير المعوذتين 140.

... قام رؤساء الضلال ممن استوهمتهم الشياطين من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة وغيرهم من أهل الفرقة والضلال فقالوا على الله ما لا يعلمون، وافتروا عليه البهتان المبين، فمنهم من جحد أسماء الله وصفاته، ومنهم من نفى بعضها وأثبت بعضها، ومن من اجتهد في تأويلها فحرفها عن موضعها، فاشتدت الفتن حول أسماء الله وصفاته.

فقام جهاذة أهل السنة المخضرمين - جزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيراً كثيراً - فأفردوا توحيد الأسماء والصفات بالبحث وجعلوه قسماً مستقلاً فدحضوا الشبهات، وأنكروا المنكرات، وحاربوا المبتدعات، ورفعوا راية السنة، فالفوا فيه المؤلفات الكثيرة منها:

- كتاب الرد على الجهمية للإمام أحمد.
- وكتاب الرد على الجهمية للإمام الدارمي.
- واجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم.
- والصواعق المرسله له أيضاً.
- وكتاب الحيدة لعبد العزيز الكنانى، وغيرها من الكتب الكثير.

قال شيخنا العلامة الجهاد أبو قتادة الفلسطيني: (وهذا التقسيم - أي أفراد الأسماء والصفات بالذكر - سببه ما حصل من أهل البدع من نفى لأسماء الله وصفاته، إما نفى لمعناها مع إثبات الفاظها، أو تأويل معناها مع إثبات الفاظها، وإما نفى لمعناها ولفظها وذلك بعدم جواز نسبتها عندهم إلى الله تعالى كما هو قول غلاة الجهمية، ومنهم من جعلها مملوكة له كامتلاكه لكل خلقه فجعلوا النسبة نسبة ملك كقولهم بيت الله، دابة الله).

فلما حدثت هذه البدع المبيدة أفردوها العلماء بالذكر تنويعاً لشأنها وإبرازاً لها في مقابل أهل البدع.

دلّ هذا على أنّ ما هو حقّ لله وحده فهو من التوحيد ويجوز أن ينسب له، فنقول: توحيد العبادة، ويجوز أن نقول توحيد الشرع، ويجوز أن نقول توحيد الطاعة، ويجوز أن نقول توحيد التسكّ، ويجوز أن نقول توحيد الولاء والبراء، فإنّ هذه من حقّ الله على العبيد، ويجب عليهم أن لا يصرفوها إلا لله سبحانه وتعالى<sup>27</sup>.

كما أفردت مواضيع كثيرة تتعلق بالتوحيد لما كثر اللفظ فيها مثل الولاء والبراء، والحاكمة<sup>28</sup> التي هي من صلب التوحيد وغيرها من المواضيع الأخرى التي أفردت وألفت فيها المؤلفات الكثيرة ليعيها الناس ويفهموها بعد أن أثرت حولها الشبهات، وتحاكم الناس إلى غير كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، واستبدلت القوانين الربانية بالقوانين الوضعية.

قال شيخنا المقدم أبو قتادة الفلسطيني: (وإنّه لمن الضروري كضرورة استنباط توحيد الأسماء والصفات من توحيد الربوبية وإفرادها بالذكر أن نفرد توحيد الحكم والقضاء والتشريع بالذكر لما صار من معارك كبرى حول حقّ الله على عبيده في الحكم والتشريع وإنكار أهل العصر له).

ألم يقل علماءنا: "الإشراك بالله في حكمه كالإشراك بالله في عبادته"؟ كما قال الشنقيطي؟

والم يقل محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد: "باب من أطاع العلماء والأمراء في تجريم ما أحلّ الله أو تحليل ما حرّم الله فقد اتّخذهم أرباباً من دون الله"؟

فلماذا يكون هذا التوحيد بدعة؟ وهل البدعة هي الاجتهاد من نفس الغرز الذي اجتهد فيه السلف؟

<sup>27</sup> توحيد الحاكمية 12.  
<sup>28</sup> كتب شيخنا أبو قتادة الفلسطيني رسالة قيمة بعنوان "توحيد الحاكمية" ننصح بقراءتها.



إِنَّ قَوْلَ هَؤُلَاءِ الْمَخَالِفِينَ لِتَوْحِيدِ الْحَاكِمِيَّةِ  
وَوَسْمِهِ بِالْبِدْعَةِ قَدْ رَجَمُوا بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَأَفْتُوا بِغَيْرِ  
بِرْهَانٍ، فَلَمْ يَنْصُرُوا حَقًّا وَلَا مَ يَبْطُلُوا بِاطِلَالًا، بَلْ هُمْ  
فِي حَقِيقَةِ الْأَمْرِ يَسْبِغُونَ عَلَى كُفْرِ التَّشْرِيعِ وَكُفْرِ  
الْحُكْمِ وَكُفْرِ الْقَضَاءِ أَثْوَابًا مِنَ الْبَاطِلِ لِيَسْتَرْوَهُمْ  
بِهَا<sup>29</sup>.

ولله الحمد والمنة على بيان الحق ودحض  
الباطل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

إنتهى بعونه تعالى  
في العشرين من شهر ربيع الثاني  
سنة 1425 من هجرة سيدي المصطفى صلى الله  
عليه وسلم

وكنت قد كتبت حلًّا ما في هذه الرسالة في  
سجن رومية لبنان ردًّا على أحد قادة "حزب التحرير  
الإسلامي" الذي لم يفتأ يروج لعقيدته الفاسدة بين  
المسلمين.

سبحانك اللهم وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت  
نستغفرك ونتوب إليك

جابر بن عبد القيوم  
الساغدي  
أبو قتيبة الشامي

تم تنزيل هذه المادة من  
منبر التوحيد والجهاد

[sw.dehwat.www//:ptth](http://www.dehwat.sw.ptth)

[moc.esedqamla.www//:ptth](http://www.esedqamla.moc.ptth)

[ofni.hannusla.www//:ptth](http://www.ofni.hannusla.ptth)

[moc.adataq-uba.www//:ptth](http://www.moc.adataq-uba.ptth)